CC BY

College of Basic Education Research Journal

www.berj.mosuljournals.com

The Theory of Meaning Between Philosophy and Linguistics: A Study of Ludwig Wittgenstein's Pragmatics

Lect.Dr. Haitham Mohammed Mustafa

College of Arts/Department of philosophy/Mosul University

Article Information

Article history:

Received: September 12,2022

Reviewer: December 5,2022

Accepted: December 5,2022

Available online

Keywords:

- Meaning theory

-Language Games

-Communicative deliberative

-Linguistic pragmatism

-Language usage theory

Correspondence:

Abstract

This study attempts to explore the linguistic "pragmatic" awareness in Wittgenstein, particularly since his perspective on language embodies a philosophical, linguistic, and communicative consciousness of great significance. Wittgenstein's thinking about language has taken a long trajectory throughout his life, actively engaging with the nature of form, image, and content as articulated in his early and later theories. His awareness and interests in language have manifested in various ways according to specific usage contexts. Based on this central observation, this study aims to define the framework of the approach we wish to develop between linguistics and philosophy, taking into account the effects of influence and functional interaction within the conceptual and productive apparatus of each. Contemporary analytical philosophy, by assigning language an active role as a method for analyzing various philosophical, linguistic, and intellectual texts and issues, and linguistics, as a critical turning point in contemporary studies, crystallizes communication and interaction through its foundational structure based on various fields of knowledge, particularly philosophy, as a conceptual key for any possible linguistic and non-linguistic knowledge. Wittgenstein's analytical philosophy of "ordinary language" serves as an excellent title for this philosophical-linguistic overlap, emphasizing the spoken linguistic expression as the sole or prominent evidence that reveals meaning solely through it, due to the mediation of the triadic relationship between (text - usage - understanding).

ISSN: 1992 – 7452

نظرية المعنى بين الفلسفة واللسانيات
دراسة في جهود (لودفيغ فتجنشتاين) التداولية

هيثم محمد مصطفى

قسم الفلسفة / كلية الآداب / جامعة الموصل

ملخص البحث

تحاول هذه الدراسة استقصاد الوعي اللساني " التداولي " عند (فتجنشتاين) خاصة ، ولاسيما أن نظرته تجاه اللغة بطريقة وعي فلسفي ولساني وتواصلي من الأهمية بمكان ، لقد أخذ تفكير (فتجنشتاين) في اللغة مسارا طويلا من حياته وحضورا فاعلا لطبيعة الشكل والصورة والمحتوى الذي صاغه في نظرياته المبكرة والمتأخرة ، وتعددت مظاهر وعيه واهتماماته بها وفق السياق الاستعمالي الخاص . وانطلاقا من هذه الإشارة المركزية ، نسعى في هذه الدراسة تحديد إطار المقاربة التي نود بلورتها بين اللسانيات والفلسفة مراعيا في ذلك أثر التأثر والتأثير والتلاقح الوظيفي في الجهاز المفاهيمي والإنتاجي لكل منهما . الفلسفة التحليلية المعاصرة من خلال إعطائها اللغة الدور الفعال كمنهج يسعى لتحليل النصوص والقضايا الفلسفية واللسانية والفكرية المختلفة ، واللسانيات بوصفها منعرجا حاسما في الدراسات المعاصرة في بلورة التواصل والتفاعل عبر بنيتها القاعدية المستندة إلى المعارف المختلفة ومنها الفلسفة بصورة خاصة ، كمفتاح مفاهيمي لأية معرفة لسانية وغير لسانية ممكنة . وقد مثلت فلسفة (فتجنشتاين) التحليلية (اللغة العادية) خير عنوان لهذا التداخل الفلسفي اللساني ، والاعتداد بالملفوظ اللساني باعتباره دليلا وحيدا أو بارزا لا يشف المعنى إلا من خلاله ، وذلك بفعل توسط العلاقة الثلاثية القائمة بين (النص ـ الاستعمال ـ الفهم) .

المقدمة

لقد حملت إلينا الفلسفة المعاصرة عدة تيارات فلسفية متباينة ، وقد اعترفت هذه التيارات بإعطائها اللغة الدور الفعال كمنهج يسعى لتحليل النصوص والقضايا الفلسفية واللسانية والفكرية المختلفة ، وربما مصطلح(عصر التحليل) الذي حدا بإطلاقه بعض الفلاسفة المعاصرين من أبرز الدلائل على نشوء توجه جديد حر وفعال في استخلاص وتفتيت كبريات القضايا الخالية من المعنى بتعبير (لودفيج فتجنشتاين L.Wittgenstein) والتي بإمكان التعبير عنها بلغة عادية قصدية محددة ومفهومة . وبالمقابل فقد شكلت اللسانيات منعرجا حاسما في الدراسات المعاصرة في بلورة التواصل والتفاعل عبر بنيتها القاعدية المستندة إلى المعارف المختلفة ومنها الفلسفة بصورة خاصة ، كمفتاح مفاهيمي لأية معرفة لسانية وغير لسانية ممكنة ، ولأن النظريات اللغوية وبحكم الظاهرة اللسانية المنفتحة باتت اليوم تتجاوز بالكثير من الحدود الشرطية التي أرساها العقل الثقافي فيما مضى ضمن أطرها ورؤاها المحددة ، وفي هذا المعنى يذكر(كلود ليفي ستروس C.Strauss.) : بأن العلوم الإنسانية روضت منذ قرون على النظر إلى العلوم الطبيعية على أنها نوع من الفردوس المفقود الذي لن يتاح لها دخوله أبدا ، ولكن فجأة ظهر منفذ صغير انفتح بين هذين الحقلين ، والفاتح لهذا المنفذ الألسنية الحديثة [١] .

وانطلاقا من هذه الإشارة المركزية لأهمية اللسانيات في الدراسات الإنسانية والعلمية معا ، نسعى في هذه الدراسة تحديد إطار المقاربة التي نود بلورتها بين اللسانيات والفلسفة مراعيا في ذلك أثر التأثر والتأثير والتلاقح الوظيفي في الجهاز المفاهيمي والإنتاجي لكل منهما .

وقد مثلت فلسفة (فتجنشتاين) التحليلية (اللغة العادية) خير عنوان لهذا التداخل الفلسفي اللساني ، والاعتداد بالملفوظ اللساني باعتباره دليلا وحيدا أو بارزا لا يشف المعنى إلا من خلاله ، فهذان العلمان يتواءمان في فلسفته ويثير النص خلالهما عددا هائلا من إمكانات القراءة والتأويل ، وذلك بفعل توسط العلاقة الثلاثية القائمة بين (النص _ الاستعمال _ الفهم) ، فالمعنى يعتبر كأنه مستوحاة ونتيجة مستخلصة من لعبة العلاقات بين هذه العناصر الثلاثة ، وهي ليست مستقلة بعضها عن بعض ، لأن الدلالة فيها مبنية على قاعدة التوافقات الممكنة ، لا الاختلافات التي تسمح بالعمل المستقل بعضها عن بعض ، ومع هذه النتيجة والأثر اللذين صبغها البحث للمعنى ، فإنه يبقى أي "المعنى" ذلك الجوهر والكائن الانسيابي ذو الحركة المتناوبة المتفاعلة داخل النص الفلسفي واللغوي لدى (فتجنشتاين) .

---

(١) ينظر : الأنثربولوجيا البنيوية : كلود ليفي . ستروس : ٢٩ .

هذا وقد اقتضت الطبيعة العلمية لمادة البحث أن يستقر منهجه في ثلاثة مباحث أساسية رئيسة ، مع مقدمة وخاتمة تضمنت عرض واستخلاص لأهم نتائج البحث ، وقد جاءت هذه المباحث مقسمة على النحو الآتي :

- المبحث الأول : فتجنشتاين وفكرة المعنى التداولي (نظرية ألعاب اللغة) .
- المبحث الثاني : فتجنشتاين ونظرية التواصل (مقاربة لسانية تداولية) .
- المبحث الثالث : فتجنشتاين و(نظرية أفعال الكلام) التداولية .

المبحث الأول : فتجنشتاين وفكرة المعنى التداولي (نظرية ألعاب اللغة) :

قضية المعنى وحيثياته ودلالته وطبيعته المعقدة أرقت الفلاسفة واللغويين على حد سواء ، فتتالت الأطروحات والدراسات المختلفة التي حاولت الكشف عنه وبلوغ مرماه ، كما تواردت عليه النظريات اللسانية والفلسفية محاولة رسم منهج واضح ومحدد في الوصول إليه وكشف مغزاه .

لقد استحوذ موضوع اللغة ومن ضمنها المعنى على اهتمام (فتجنشتاين) سواء في المرحلة الأولى من تفكيره الفلسفي لا سيما في كتابه (رسالة منطقية . فلسفية) أو المرحلة الثانية أي في بداية اهتمامه بالفلسفة التحليلية واللغة العادية في كتابه (تحقيقات فلسفية) ، وانفتاحه على المعطى الاجتماعي للغة من خلال حضور براغماتي ، وذلك بحجة أنها أي اللغة تعد الوسيلة الوحيدة والضامنة الأكيدة التي نتعرف من خلالها على الأشياء ، كما أن العلم في نظره سيبقى مغلقا ملغزا إن لم نعمد إلى توضيحه بواسطتها[١]

ذهب (فتجنشتاين) في كتابه (الرسالة) إلى أن وظيفة اللغة المشروعة فلسفيا هي التسمية أو الوصف أو الإشارة ، وترتب على هذه النتيجة لديه إلى تصور معين للمعنى مفاده : أن معنى أية كلمة هو الشيء الذي تمثله أو تشير إليه ، والاسم يعني الشيء والشيء هو معناه ، غير أنه في كتابه (تحقيقات فلسفية) قد اضطر إزاء تنوع استعمالات اللغة واختلافها إلى اصطناع نظرية جديدة سماها ألعاب اللغة أو لعب لغوية Sprachspiel ، وانبثقت عن هذه النظرية قاعدة لسانية سماها الاستعمال التي فحواها : أن معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة ، أو المعنى هو الاستعمال[٢] Meaning is use .

من بعد هذه الافتتاحية الوجيزة لمفهوم هذه النظرية ندخل إلى تبيان تفاصيلها فنقول : ارتبط الاهتمام باللغة لدى الفلسفة التحليلية بالاهتمام بالمنطق لمدة طويلة ، إلا أن هذا الارتباط تزعزع وارتبك بعض

---

(١) ينظر : الفلسفة وقضايا اللغة ، قراءة في التصور التحليلي : بشير خليفي : ١٤ .

(٢) ينظر : التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد : صلاح اسماعيل عبدالحق : ١٣ .

الشيء بعد الحرب العالمية الثانية بظهور تيار جديد في هذه الفلسفة على يد (فتجنشتاين)، (وجون أوستين G.Austin) خاصة ، فانتقل الاهتمام من المنطق إلى اللغة العادية ، الأمر الذي أعاد الجدة والاعتبار لها ، فعوضا عن أن تبقى اللغة العادية موضوعا لنقد الفلسفة التحليلية في صياغتها الجديدة أصبح الاهتمام مركزا على الكيفيات التي تعمل بها هذه اللغة ، ولذلك توجه التركيز على أهم ما يميز اللغات الطبيعية عن اللغة المنطقية ، وهو البعد التداولي لتلك اللغات[١] ، وهو أمر يأتي بيانه بصورة خاصة في مبحث لاحق من هذا البحث .

كان تحليل اللغة عند (فتجنشتاين) هو الهدف الأساسي من فلسفته ، سواء تعلق هذا الأمر بفلسفته الأولى أم بفلسفته المتأخرة ، يقول في مقدمة كتابه(رسالة منطقية فلسفية) : " إنه كتاب يعالج مشكلات الفلسفة ويوضح فيما أعتقد أن الذي دعا إلى إثارة هذه المشكلات هو أن منطق لغتنا منطق يساء فهمه "[٢] ، ثم يستطرد قائلا : " يمكن أن نلخص معنى الكتاب كله على نحو قريب مما يلي : إن ما يمكن قوله على الإطلاق يمكن قوله بوضوح ، وأما ما لا نستطيع أن نتحدث عنه فلا بد أن نصمت عنه "[٣] .

إذن فـ " سوء فهم منطق اللغة هو الذي أدى إلى ظهور كثير من المشكلات الفلسفية ، وأن هذه المشكلات لن يتم حلها إلا إذا استخدمنا اللغة استخداما صحيحا ، ولن نعرف ما إذا كان استخدامنا للغة صحيحا أو غير صحيح إلا إذا عرفنا القواعد التي يجب أن نستخدم وفقها الألفاظ والقضايا التي تتكون منها اللغة ، ولن يكون ذلك إلا بواسطة التحليل ، الأمر الذي جعله يقول إن الفلسفة كلها عبارة عن تحليل اللغة "[٤] ، فتحليل الألفاظ عند (فتجنشتاين) اعتنق الأهمية نفسها في فلسفته الأولى والمتأخرة ، رغم اختلاف الطريقة التي يستخدمها في تحليل كل منها . لكن تحليل الألفاظ عند (فتجنشتاين) لا يعني النظر إليها بمنهج واحد ، فقد أقلع عن نظريته في الرسالة في التطابق بين اللغة والواقع ، وأخذ بطريقة أخرى في تحليل المعنى تعتمد على تجزئة اللغة وملاحظة كيف تعمل في الحياة اليومية . فهي في نظره مجرد أداة لتحقيق الأغراض والحاجات الإنسانية ، وهي أداة تعمل في الحياة بطرق مختلفة لتحقيق حاجات مختلفة ، فالعلماء المتخصصون والرياضيون وغيرهم يستخدمون اللغة كل حسب حاجته إليها وهدفه منها . فتحليل اللغة في الحياة اليومية بهذه الطريقة يضعنا أمام مهمة أخرى هي أن نقوم بتجزئة اللغة لدراستها شريطة أن لا تضر هذه التجزئة اللغة في عملها لأداء وظيفة ما ، لذا فيمكن اعتبار كل

---

(١) ينظر : اللغة والمعنى ، مقاربات في فلسفة اللغة : إعداد وتقديم : مخلوف سيد أحمد : ١٨٤ .

(٢) رسالة منطقية فلسفية : لدفيج فتجنشتاين ، ترجمة : عزمي إسلام : ٥٩ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) نظرية العلامات عند جماعة فينا ، رودولف كارناب نموذجا ، دراسة وتحليل : محمد عبدالرحمن جابري : ١٥٧ .

جزء من هذه الأجزاء لغة تقوم بتحقيق غرض ما ، وهذه الأجزاء هي اللعبات اللغوية[١] . يقول في هذا المقصد : " إن سؤالنا عن معنى لفظ ما ، ما هو إلا سؤالنا عن كيفية استخدام هذا اللفظ أو ذاك في ألعاب اللغة ، وهذا بدوره يتطلب تذكر السياقات التي علمتنا فيما مضى كيف نستخدم فيها الكلمة بطريقة ملائمة ، أو ذات معنى ، أي يجب علينا أن نكشف أن ألعاب اللغة تتعلق بها ، ثم نكرر قواعد هذه اللعبة اللغوية ، كما هو الحال مثلا حين يسأل شخص ما : ما هو البيدق ؟ فإننا يجب أن نجيب أولا : إنه إحدى القطع المستعملة في لعبة الشطرنج ، ثم نقول ثانيا: قواعد الشطرنج التي تحكم حركات البيدق أثناء اللعب "[٢] .

إن (فتجنشتاين) في هذا النص لا يشبه اللغة بالألعاب فقط ، بل إنها في نظره ألعاب بالفعل ، فنحن حين نستخدم الألفاظ في اللغة إنما نلعب لعبة لغوية بالفعل ، وذلك أنه لا يقصد بلعبة اللغة طريقة استخدام الألفاظ على نحو أو آخر فقط ، بل كذلك جميع الأفعال المرتبطة بهذا الاستعمال[٣] ، إذ يقول : " إننا يمكننا أن نسمي كل طريقة لاستخدام الأسماء على نحو معين نسميها لعبة من ألعاب اللغة .... وسوف أسمي أيضا كل ما هو مكون من اللغة والأفعال المرتبطة بها ، بلعبة اللغة "[٤] .

وفي ضوء هذه النظرية تصبح تحليل الألفاظ في فلسفة (فتجنشتاين) ولا سيما في كتابه (تحقيقات فلسفية) ليس البحث عما تدل أو تشير إليه الكلمة فتكتسب معناها ، بل الأساس المنتج من هذه النظرية الكشف عن الطريقة التي يستخدم بها الكلمة في اللغة بالفعل ، كما لم يعد البحث في اللغة وتحليلها مثلما هو في (الرسالة المنطقية)عبارة عن تحليل للقضايا إلى قضايا أولية تتكون من أسماء كل اسم منها يشير إلى شيء بسيط أو واقعة بسيطة في العالم الخارجي ، فقد أصبح البحث الأساسي للفلسفة المتمثل باللغة هنا التحليل الذي يكشف عن الاستخدام الصحيح للألفاظ عبر ألعاب اللغة أو التشكيلات اللغوية المختلفة .

وفي سياق تفسيره لمفهوم اللعبة ، يؤكد أنه من المهم في فهمنا للغة أن ندرس الهدف أو القصد الذي نرمي إليه من وراء استخدامنا لكلمة معينة في سياق الحديث ، ناظرين في ذلك إلى الطريقة العملية التي تستخدم بها اللغة في صميم حياتنا الاعتيادية ، يقول : " إن اللغة الذي يقصده أي فرد منا بأية كلمة ، لا

---

(١) ينظر : مقدمة في الفلسفة المعاصرة ، دراسة تحليلية ونقدية للاتجاهات العلمية في فلسفة القرن العشرين : ياسين خليل : ١٣٣ .

(٢) تحقيقات فلسفية : لودفيج فتجنشتاين ، ترجمة وتقديم وتعليق : عبدالرزاق بنور : ١٧٣ .

(٣) ينظر : عزمي إسلام : لودفيغ فتجنشتاين : ٢٧١ .

(٤) تحقيقات فلسفية : ١٧٦ .

ينكشف لنا إلا من خلال الأشياء التي يطبق عليها أو لا يطبق تلك الكلمة ، أعني من خلال المواقف التي تستخدم في سياقها تكتيك ذلك اللفظ ، فالمرء حين يفكر فيما يقوله فإنه لا يفعل شيئا أكثر من كونه يعني ما يقوله "[١] . وهذا الذي ذكرناه يؤكد البعد التداولي الحر للاستخدام اللغوي ، وإنه من الضروري أن يشار هنا توضيحا إلى أن إدراك التنوع بين الألعاب يجعل مفهوم اللعبة ذاته مفهوما مفيدا بالنسبة إلى إبراز التنوعات والاختلافات اللغوية في التداول والاستعمال[٢] .

على أن المقصود بفكرة الاستعمال للمعنى ، أي الاستعمال الحياتي العادي للكلمة المفهوم تداوليا واجتماعيا ، فليست اللغة عند (فتجنشتاين) مفهوما ميتافيزيقيا مجردا منفصلا عمن يستخدمونها ، بل هي في النهاية ظاهرة اجتماعية تفاعلية ونشاط بشري راسخة في حياتنا ، ومن هنا يمكننا أن نتبين أن المعنى ليس متأصلا في الكلمة ، كما أنه لا يتأتى من خلال السياق النحوي والتركيبي ، ولا هو نتيجة عملية ذهنية داخلية ، بل إن الكلمة تكتسب المعنى من خلال امتلاك موضع ما في مناسبة استعمالية ما .

وفي سبيل توضيح معنى اللعبة اللغوية يسوق (فتجنشتاين) مثاله الشهير : " أرسلت أحدا من الناس للشراء ، وأعطيته قطعة ورق كتب عليها (خمس تفاحات حمراء) ، فأخذ هذه الورقة إلى صاحب المخزن الذي فتح الدولاب المحتوي على التفاح ، ثم نظر إلى كلمة حمراء ليجدها في الجانب الآخر ، وأخذ بتعداد الأرقام مفترضين أنه يعرف عد الأرقام عن ظهر قلب إلى خمسة ، وكان يأخذ أثناء العد تفاحة من الدولاب ذات لون أحمر "[٣] .

فهذا المثال يبين فهم (فتجنشتاين) للعبة اللغوية وكيفية عمل الكلمات في الحياة اليومية ، وإن اللغة لا تستطيع أن تكشف عن دلالات خارجة عنها ، وإنما هي التي تولد الدلالات المختلفة حسب الأنساق اللغوية وحسب الألعاب التي تنتظم سيرورتها من خلالها باعتبارها نشاطا إنسانيا وشكلا من أشكال الحياة

وهذا التصور الذي يقوم عليه مفهوم اللغة عند (فتجنشتاين) يستلزم أن العلاقات اللسانية ليست متواطئة بطبيعتها ، وإنما تتحدد دلالتها بسياق استعمالها كما بينا ، لكن هذا لا يعني أن نظرية (ألعاب اللغة) تفلت من سلطة القواعد وتنأى عن الخضوع لأحكامها ، بل شأنها شأن أية لعبة من حيث خضوعها لها ، فلم تعد اللغة إذن نظاما صوريا فارغا كما هو عند المناطقة ، وإنما أصبحت كثرة من اللغات باعتبارها أنساق تواصل ، وهو الأمر الذي ينتج عنه أن (قواعد اللعبة) هي التي تحدد الدلالة

---

(١) المصدر نفسه : ١٩٣ .

(٢) ينظر : التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد : ١٢٠ ، واللسانيات ، اتجاهاتها وقضاياها الراهنة : نعمان بو قرة : ١٨١ .

(٣) تحقيقات فلسفية : ١٨٣ .

الحاصلة للكلمات[١] . كما أن هذا المستوى المفهومي للغة وفقهها التواصلي التداولي يأتي من سياق استعمالها عند (فتجنشتاين)، وإن تلك الكلمة لا معنى لها إلا بربطها بقواعد استعمالها وبمسلكها الوظيفي الذي تتصرف الدلالة على أساسه ، فتتحول إلى فعل وممارسة وغرض وقيمة ونشاط في تحقيق استمرارية التخاطب ، وذلك طبقا للموقف الذي يقع فيه الحدث الكلامي والاستعمال الذي يحدد مقصوده .

وهكذا فقد أصبحت الأداءات اللغوية وفق التصور (الفتجنشتايني) الجديد تماثل مجموعة الألعاب الواضحة المعالم للقارئ أثناء الاستعمال ، طالما أنه لا يمكننا أن نتصور لعبة دون وجود طائفة من الأركان المحددة التي تسير في ضوئها نهج اللعب ، وهذا يتجلى في الإقرار بأهمية القواعد ، حيث إن عدم الانتباه إلى قواعد الألعاب اللغوية يؤدي إلى حرمان مفردات وقضايا اللغة من المعنى الذي يراد لها ، وتحقق هذا الأمر ما يسميه (فتجنشتاين) سوء استخدام اللغة[٢] .

ويبقى التساؤل أخيرا عن سبب اهتمام (فتجنشتاين) بدراسة ألعاب اللغة وتوجيه الغاية نحوها وتفسيرها من الوجهتين الفلسفية واللسانية كما اتضح لنا ، وتأتي الإجابة عن ذلك في " سعيه الدؤوب إلى توضيح المعنى وإبراز الفروق بين الكلام ذي المعنى واللغو الذي يخلو من المعنى "[٣] ، وفي هذا يقول : " عندما يستعمل الفلاسفة كلمة (معرفة) و(الوجود) و(الشيء) و(الأنا) و(القضية) و(الاسم) ويحاولون إدراك ماهية المسألة ، فيجب على الواحد منهم أن يسأل نفسه دائما : هل يتم استعمال الكلمة بالفعل دائما بهذه الطريقة في لعبة اللغة التي هي موضعها الأصلي ؟ وما نفعله هو إعادة الكلمات من استعمالها الميتافيزيقي إلى استعمالها في الحياة اليومية "[٤] .

المبحث الثاني : فتجنشتاين ونظرية التواصل (مقاربة لسانية تداولية) :

اللغة إنتاج اجتماعي ، ويتحدد وضع التواصل بالبعد الاجتماعي الاستعمالي بين المتخاطبين ، بكونه حوارا متبادلا بين متكلم ينتج ملفوظا موجها نحو متكلم آخر ، ومتلق يتوخى الاستماع والإجابة ، وبذلك تكون مقولة (فتجنشتاين) السابقة (المعنى هو الاستعمال) مقاربة ومرتبطة بفكرة الاستعمال الاجتماعي

---

(١) ينظر : الفلسفة وقضايا اللغة : ١٦٥ . ١٦٦ . والاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي : نادية رمضان النجار:٢٥ .

(٢) اللسانيات اتجاهاتها وقضايا الراهنة : ١٨١ ، وحجة اللغة الخاصة ، دراسة في فلسفة فتجنشتين : أيمن حمودة حسن حاج ياسين : ٢٧ .

(٣) المصدر السابق : ١٦٣ .

(٤) تحقيقات فلسفية : ١٦٩ . و ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : نايف خرما : ٢٠٨ .

للغة ، أي استعمالها لتحقيق أغراض معينة من قبل أفراد معينين خلا مجتمع تخاطبي معين ، لأنها أي اللغة ترتبط وظيفيا بالأنشطة الفعلية للإنسان التي لا يمكن أن تتعين إلا باعتبارها تواصلا سواء مع الذات أو مع الآخرين على حد سواء .

ولقد كان الاتجاه السائد قديما أن وظيفة اللغة هي التعبير عن الفكر البشري سواء كان متعلقا بأمور عقلية محضة أم بالعواطف والأحاسيس والرغبات الإنسانية . أما المحدثون من اللسانيين وخصوصا الوظيفيين منهم فيفضلون أن يقصروا وظيفة اللغة على التواصل Communication ، ويؤكدون على أهمية دراسة اللغة باعتبارها وسيلة للتواصل ، وبالتالي فإن الأساس في التحليل اللساني عندهم هو الكشف عن الخصائص والمميزات التي تجعل عملية التواصل أمرا ممكنا[١] . وإلى هذا الرأي يذهب (شارل بالي C.Bally) وهو لساني أسلوبي تواصلي ، حينما يؤكد أن : اللغة التي نتكلمها جميعا ليست في خدمة العقل الخالص ولا في خدمة الفن ، إنها لا تهدف إلى مثال منطقي أو مثال أدبي ، إن وظيفتها الأساسية ليس بناء القياسات المنطقية أو الخضوع للأوزان والتفعيلات الشعرية ، إنها ببساطة في خدمة الحياة الاجتماعية لا حياة الأفراد وإنما حياة المجتمع [٢] .

فليست اللغة إذا مرآة للفكر كما اعتبرها الفلاسفة قديما ومنهم (أرسطوAristo) خاصة ، ولا تتمثل وظيفتها في نقل الوقائع ، بل تتمثل وظيفتها الأساسية في كونها وسيلة للتواصل ، فيخرج بذلك عن أن تكون وسيلة للإبداع أو نقلا للأفكار خاصة .

ورغم أن المعنى الأساسي الذي نجده في فلسفة (فتجنشتاين) بصفة عامة لا سيما في فلسفته الأولى هي أن اللغة هي الفكر نفسه ، فلا يفصل بينهما فصلا ليجعل من أحدهما شيئا مستقلا ومن الآخر شيئا آخر ، بل يرى أن الاثنين شيء واحد ، أو وجهان لعملة واحدة ، فالكلمات حسب رأيه في دلالتها الإفهامية والبيانية لا تشير إلا إلى الأفكار الموجودة في ذهن صاحبها[٣] ، يقول في مقدمة كتابه (رسالة منطقية . فلسفية) وهو في حقيقته يمثل الهدف من تأليفه ، بأن هذا الكتاب : " يستهدف إقامة حد للتفكير ، أو على الأصح لا يستهدف إقامة حد للتفكير ، بل للتعبير عن الأفكار ، ذلك لأننا لكي نقيم حدا للتفكير ، يلزم أن نجد جانبي ذلك الحد كليهما مما يجوز التفكير فيه ، (ومعنى ذلك أنه ينبغي لنا أن

---

(١) نقلا عن : في اللسانيات العامة : مصطفى غلفان : ٨١ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١٥٣ .

(٣) ينظر : رسالة منطقية فلسفية : ٥٩ .

نستطيع التفكير فيما لا يمكن التفكير فيه) ، ولذا فإن هذا الحد يمكن أن يوضع فقط بالنسبة للغة ، أو ما يكون في الجانب الآخر من ذلك الحد ، فسيعد ببساطة شيئا لا معنى له "[١] .

إلا أن (فتجنشتاين) في فلسفته المتأخرة لا سيما في كتابه (التحقيقات) ، لم تعد اللغة وظيفتها التعبير عن الفكر أو رسم تصوير للوجود الخارجي ، بل أصبحت اللغة خير وسيلة للتواصل والتفاهم مع الآخرين والتأثير فيهم ، وهو بذلك يعود إلى المفهوم الاجتماعي لوظيفة اللغة ، وهو المفهوم العادي الطبيعي لها . يقول في ذلك : " إنني لا أقول بدون اللغة ما كنا نستطيع أن نتصل بعضنا ببعض فقط ، بل أقول أيضا بدون اللغة لا يمكننا أن نؤثر في غيرنا من الناس على هذا النحو أو ذاك ... ولم يكن ليمكننا إقامة الطرق وبناء الآلات ... إلخ "[٢] .

وإذا اتفقنا أن تحديد تقنية التواصل الكلامي مما كانت تعد جزءا من فلسفة (فتجنشتاين) اللسانية ، وهو يرسم بذلك خطوط نظريته التواصلية بحدود تتسم في مجملها بالارتسامات الخطابية الواضحة ، مما ينبغي أن يلم به الفيلسوف تحت شعار إن جاز صياغته " أنا فلسفي ولا وجود لأية مسألة غريبة عني " .

وطبقا لشروط التواصل فإن النص الفلسفي اللغوي الذي يريده (فتجنشتاين) ، هو أن يقترب مما نسميه (النص الواصف) الذي يجب أن يولد في النتيجة وأن يفهم في لسان معين وسياق تواصلي معين ، وهذا يعني أنه يجب على التحليل اللغوي أن يلبي الضوابط التواضعية للجماعة التواصلية المعنية بهكذا خطاب فلسفي مقصود[٣].

إذن فمعرفة التواصل اللغوي والمحددات التي تحكم هذا التوجه قد انسحبت في فكر (فتجنشتاين) الفلسفية بصورة خاصة كما ذكرنا ، فالشكوك الفلسفية كلها ومشكلاتها ليس إلا استخدام اللغة استخداما خاطئا ، والطريقة التواصلية الصحيحة لاستعمال تلك الألفاظ هي أن تكون في سياقاتها المعتبرة المحددة لدلالتها ، يقول في ذلك : " إن المشكلات الفلسفية تنشأ حين نسيء استخدام اللغة " حيث " يمكننا إزالة كل سوء فهم إذا جعلنا تعبيراتنا أكثر دقة "[٤] ، ومعنى هذا الكلام أن الوظيفة التواصلية للغة لا يمكنها أن تتجاوز حدودها الطبيعي المنطبق في مجالها العلمي ، وأي خروج عن هذه الترسيمة اللسانية المنضبطة تؤدي بالعبارة إلى الإلغاز والعدول عن نشاطها المعنائي المتسق ، لأن نظام التواصل اللغوي يبدأ أساسا من المتحدثين فهم يقرون إصدار المعلومات بطريقة سلوكية معينة ، وعندئذ يختارون إشارة

---

(١) رسالة منطقية فلسفية : ١٥٧ .

(٢) تحقيقات فلسفية : ٨٣ .

(٣) ينظر : العلاماتية وعلم النص : منذر عياشي : ١٤٢ .

(٤) رسالة منطقية فلسفية : ١٦٣ .

معينة يعتقدون ملائمتها ثم يرسلونها للمتلقي ، فوظيفة اللغة لذلك تتمثل بالأنشطة العقلية للمتحدثين والمستمعين أثناء عملية التواصل[١] . ومن هنا كان تأكيد (فتجنشتاين) على أهمية التواصل المقصود ، بمعنى أننا لو استخدمنا لغتنا على خير وجه بحيث تقوم ألفاظها وعباراتها بوظيفة مقاصدية كاملة لما نشأت لدينا مشكلات تذكر . هذا وإن العناصر المكونة لكل تواصل لساني يتحدد بالمدلولات الثلاثة الرئيسة الآتية :

. مرسل أو متحدث .

. مستقبل أو مستمع .

. الرسالة أو قناة التواصل .

وتتضمن الرسالة عنصري : (المحتوى والتواصل) ، وهما يقومان بدور أساس في انتظام عملية التخاطب ، وفي استخدام اللغة نحو أغراض عديدة وفي اشتمالها على أشكال مختلفة من التفاعل مع الآخرين . والمخطط الآتي

توضيح لما ذكر :

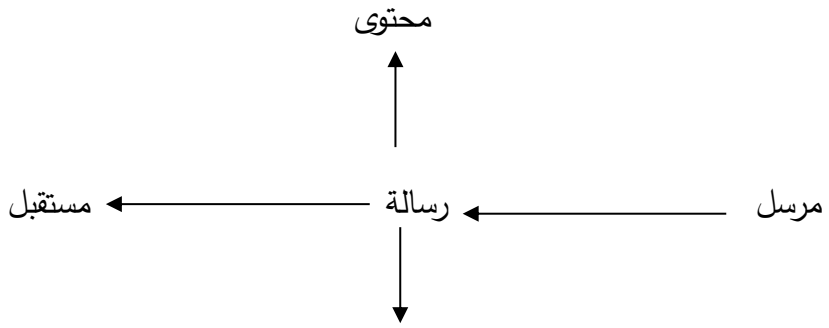

وفي المحتوى تتضح صحة استخدام الألفاظ ، ومن سوء استخدام الألفاظ تنبع المشكلة الفلسفية كما يذهب إلى ذلك (فتجنشتاين) ، والأمر يتطلب أن تتوجه الرسالة أي المحتوى بالطريقة العادية للمتلقين كي يكون واضحا كل الوضوح ، حيث يرى في ذلك بأن : " البحث الفلسفي يكون بإعادة ألفاظ اللغة من استخدامها الميتافيزيقي إلى الطريقة التي تستخدم بها في الحياة اليومية "[٢] .

(١) ينظر : سيكلولوجية اللغة والمرض العقلي : جمعة سيد يوسف : ٢٧ .

(٢) فلسفة اللغة عند لودفيج فتجنشتاين : جمال حمود : ٣٠٨ . ٣٠٩ .

ومن الجدير بالذكر أن فكرة الوضوح للغة تطرق إليها (فتجنشتاين) أيضا في (الرسالة المنطقية) لكن من حيث تطابق (اللغة) مع (الفكر) ومع (الواقع) ضمن النظرية التصورية ، لا من حيث الاستعمال كما نحن بصدد علاقة اللغة معه . حيث يرى هناك أن اللغة تكون واضحة بقدر ما تكون في نظام منطقي سليم ، وعندئذ فقط يمكن أن يكون هناك تطابق بين ما نفكر فيه (الفكر) وبين ما نقوله (اللغة) وبين مدلولات ما نقوله (الواقع) ، فعبر قراءة متأنية لنصوص (فتجنشتاين) في (الرسالة المنطقية) يمكننا أن نفهم أن فكرة الوضوح توجه العمل الفلسفي في الرسالة نحو إحداث ذلك التطابق الذي ذكرناه بين مثلث (الفكر . اللغة . الواقع) ، حيث إن فكرة الوضوح لا يصرح بها فقط ، ولكنها تتدخل بلا انقطاع كأطروحة عمل فلسفي جديد ، بما يمثل تغييرا في وظيفته وفي موضوعه ومنهجه[١] .

لقد تعامل (فتجنشتاين) مع اللغة في دارته الفلسفية (التواصلية) بما يقرب من (الوظيفة المهيمنة) التي طرحها (رومان جاكبسون R.Gackobson) ، في نظريته اللسانية التواصلية ، حيث يمثل درء الغموض في الرسالة اللغوية هو الوظيفة المركزية والمهيمنة لأية عملية تواصل لغوي من النوع الفلسفي ، ولا بد أنه قد كان مطلعا على الأقل مدركا قبل نموذج جاكبسون لنموذج (فردينان دوسوسير F.Desaussre) ، ونموذج (كارل بوهلر K.Buhler) ، في منظومتهما التواصلية اللفظية للغة[٢] ، وهو تلاقح منهجي متعارف بين العلوم كافة من حيث التأثر والتأثير .

وقد ذكرنا أن فكرة الاستعمال هي الأساس الإبلاغي التواصلي التي توظف لأجلها الكلمة ومن ثم العبارة ، وبمعنى آخر أن دلالة أية كلمة تنحدر من خلال استخدامنا لها في اللغة ، ويحيل الاستخدام من جانبه إلى التعدد ، فللكلمة الواحدة أثناء الاستعمالات المتعددة أكثر من معنى ، ولا يريد (فتجنشتاين) أن يقر بمعنى نموذجي للكلمة الواحدة ، لكنه يعلن بالمقابل أن الهدف المتوخى لكل رسالة لغوية هو درء الغموض والتركيز على الاستخدام بأداءات واضحة تيسيرا للتفاهم والتواصل[٣] . وقد بينا شيئا من هذا في مبحث ألعاب اللغة أن ليست اللغة مجرد قضايا لها علاقة واحد بواحد مع الوقائع ، بل إنها أداة لتحقيق أغراض بشرية ، فهي تحقق الأهداف التي يسعى لها الكائن البشري في سعيه ومثابرته ، وهكذا بدأ (فتجنشتاين) يشق الطريق نحو بناء فلسفة تحليلية جديدة لها سمة التواصل اللساني ، تقوم على دراسة لوظيفة اللغة وعملها اليومي العادي ، فمن المتعارف أن الشخص المتكلم يستخدم اللغة تواصليا لأجل تحقيق بعض الحاجات ، وأن وظيفة اللغة تتحقق عندما تكون بين الأفراد المتخاطبين بها علاقة ، بحيث

---

(١) ينظر : التواصل اللساني والشعرية ، مقاربة تحليلية لنظرية ياكبسون : الطاهر بومزبر : ١٧ . ١٨ .

(٢) ينظر : الفلسفة وقضايا اللغة : ١٦٦ . ١٦٧ .

(٣) ينظر : مقدمة في الفلسفة المعاصرة : ١١٧ .

نرى عددا من المنبهات تثير استجابات بين المتكلمين ، ونتيجة هذا الكلام : أن تحليل اللغة كما يراه (فتجنشتاين) وفق مبدأ التواصل يستلزم شخصا يتحدث بها وشخصا آخر يستمع إليه ، مع ملاحظة لما تحدثه اللغة من منبهات يستجيب لها المستمع عن طريق القيام بعمل وتأثير مستجلب من التواصل[١] ، هذا من جانب . ومن جانب آخر فإن (النحو Grammair) حسب (فتجنشتاين) يعطي للغة درجتها من الحرية الضرورية في كشف ما انغلق من المعنى وفي الإحالة بقواعد الاستعمال التي تحدد سيرورة التواصل داخل الوسط الفلسفي الاجتماعي ، ومقتضيات الاستدلال التي يقوم بها الذهن البشري بناء على معطيات المعجم اللغوي المتعارف عليه ، والتي يتم بها إدراك النسق الدلالي وفق وحدة الثقافة بين المتخاطبين وخطاطة الذهن التواصلية المشتركة ، وهي كفيلة بأن تضع معرفة العالم الذي ننتمي إليه بين أيدينا ، ومن هنا فإن للنحو وفق ما أشار إليه (فتجنشتاين) دورا لا يستهان به في تحقيق التواصل من جهة ، وفهم سيرورات الدلالة من جهة أخرى ، على أساس قواعد الاستعمال المختلفة التي يتيحها لنا الدرجة النحوية ، كي تجعل من الأنساق الفلسفية معقولة وقابلة للدراسة الموضوعية[٢] .

المبحث الثالث : فتجنشتاين و(نظرية أفعال الكلام) التداولية :

تمثل التداولية أو البراغماتية اللسانية Pragmatique Linguistiq أهم اتجاه لغوي تبلور وازدهر في الثقافة اللسانية الغربية ، إذ تمثل التداولية بوصفها قمة الاهتمام الوظيفي باللغة لسانيات الاستعمال ، إذ غدا القول بواسطة هذه الملكة وفي إطار التنظيم اللغوي الاجتماعي فعلا غرضيا واقعيا ، تختلف طبيعته من حيث أثره عن أي فعل مادي ، وهذا ما يعبر عنه بـ (نظرية أفعال الكلام) Act De Parole والتي غدت قطب الرحى والنموذج الأسمى في الدراسات اللسانية التداولية المعاصرة[٣] .

يكاد يجمع اللسانيون قاطبة على أن الفلسفة التحليلية تمثل الينبوع المعرفي والجذر الفلسفي الأول لأهم مفهوم تداولي وهو نظرية الأفعال الكلامية ، فبين أحضان الفلسفة التحليلية نشأت هذه النظرية ولا سيما (فلسفة اللغة العادية) التي تعود إلى مؤسسها (فتجنشتاين) فيلسوف اللغة أو ما سمي بـ(رائد التوجيه اللغوي في الفلسفة) والذي حمل سوء الفهم الفلسفي إلى إساءة استعمال اللغة العادية فحاول أن يمنحها

---

(١) ينظر : الدلالات المفتوحة ، مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة : أحمد يوسف : ١١٨ .

(٢) ينظر : اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة : ١٦٠ . والمتشابهات الفلسفية لفلسفة الفعل عند فتجنشتاين : محمد مهدي

الجزيري : ٨٦ .

(٣) ينظر : السيميائيات الواصفة ، المنطق السميائي وجبر العلامات : أحمد يوسف : ١٥٧ .

كل الامتياز ، كما أنه رفض وجود فكرة لغة مثالية ميتافيزيقية ، واصطنع في تحليله الكلمات التي لها معنى في اللغة العادية ، ومن هنا فقد دعا إلى تصحيح المفاهيم الفلسفية التي استعملت استعمالا لغويا خاطئا ، وخاض ضد فتنة العقل بسحر اللغة[١] ، وقد مر لنا شيء من هنا في تناولنا للمبحثين السابقين.

فنظرية أفعال الكلام تمثل دعما لنظرية (فتجنشتاين) في اللغة ، ولا سيما في رفعه شعار (لا تسأل عن المعنى بل اسأل عن الاستعمال) المار بنا سلفا ، فهو قائم أساسا على فكرة أن المتكلم يستخدم الجملة للقيام بفعل حسب مغزى أو مقصد كلامي يحدده غرض المتكلم والعرف كأن يستعملها للأمر أو الوعد أو التهديد أو التنبيه وغيرها ، ذلك أن تراث (فتجنشتاين) اللغوي لم يكتسب العناية والأهمية الحقيقية إلا بعد ما تبناه فلاسفة أكسفورد وخصوصا (جون أوستين) الذي ظهر أثر (فتجنشتاين) واضحا عليه في كتابه ذائع الصيت (كيف ننجز الأشياء بالكلمات How To Do Things Withwords ، أو عندما يكون القول فعلا[٢] . وعلى الرغم من أن نظرية (أوستين) كانت بمثابة بدايات أولية ، فقد أثرت تأثيرا كبيرا في الفلاسفة واللسانيين بعده ، وعنها انبثقت فيما بعد نظرية أفعال الكلام لـ(جون سيرل G.Searle) ، ونظرية الاقتضاء التخاطبي لـ(بول غرايس P.Grice). فـ(سيرل) قام بتطوير نظرية (أوستين) وتنظيمها مؤكدا بذلك : إن ما يمكن قصده يمكن قصده ، متأثرا في ذلك أيضا بالقصدية الظاهراتية . أما (غرايس) فإنه اشتهر بالاقتضاء التخاطبي أو مبادئ التعاون الحواري ، المبنية على الثوابت الجماعية المرتبطة بقضايا التضمين ، والاقتضاء في تصوره نتيجة نابعة من الحوار ومن تضمينات هذا الحوار وثوابته[٣] .

ولعل فكرة الاستعمال التي نادى بها (فتجنشتاين) هي ما يمكن تسميتها أيضا كما ذكرنا في مبحث التواصل بالاستعمال الاجتماعي للغة ، أي استعمالها لتحقيق أغراض معينة من قبل أفراد معينين في مجتمع معين ، وبما أن

الأغراض من استخدام الكلمات تختلف من شخص لآخر ، ومن مجتمع إلى آخر ، بل ومن زمن إلى آخر ، فإن اللغة يمكنها أن تبقى جامدة ساكنة ، ولا تحتفظ بتلك الصورة العامة التي يفرضها عليها المنطق الثابت . ولكن عليها أن تواكب هذا التنوع في أغراضنا المقاصدية من استخدام تلك اللغة ، وهنا يأتي قول (فتجنشتاين) بتشبيهه " اللغة مثل غرفة قيادة القطار ، حيث الحركات المختلفة يتم تنفيذها

(١) ينظر : نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي : هشام عبد الله الخليفة : ١٢٣.

(٢) ينظر : الحجاج في البلاغة المعاصرة : محمد سالم محمد الأمين الطلبة : ١٨٢ .

(٣) ينظر : نظرية العلامات عند جماعة فينا : ٣٣٣ .

بواسطة مقابض ، الكلمات تطابق تلك المقابض "[١] ، وبما أن المقبض الواحد على حد مدلول كلام (فتجنشتاين) يمكن أن يؤدي أكثر من وظيفة واحدة ، وذلك بحسب نوع الحركة التي نحركه بها نحو الأمام أو الخلف أو اليمين أو اليسار أو الأعلى والأسفل وهكذا ... ، فمفردات اللغة صارت بهذا التشبيه بمثابة مقابض ، والكلمة الواحدة أصبح لها أكثر من مدلول واحد وفق أغراضنا المتعددة من استخدامها .

وهذا الذي انتهى إليه (فتجنشتاين) هو ما بدا واضحا عند أغلب فلاسفة أكسفورد أوستين ورايل G.Ryle وغيرهم، فنظريتهم للمعنى خلاصتها : أن الكلمات ذوات طرق مختلفة في المعنى ، وأن معنى أية كلمة يتوقف دائما على السياق الذي تستعمل فيه ، ولهذا نتائج تذكر ، أولها : أن كل نوع من القضايا له ضرب خاص من المعنى ومن التحقيق ، وثانيها : أنه لابد من تعديل التمييز بين القضايا التحليلية والقضايا التركيبية ، وثالثها : تعديل تصور دور التحليل الفلسفي وطبيعته ، ولهذا علينا أن نقر في هذا المقام بأن ثمة عددا من الوظائف اللغوية المتميزة ، وأن التعابير اللسانية لا معنى لهل إلا في سياقها ، فلا ننظر إلى الشيء الذي يشير إليه التعبير ، بل إلى (المناسبة) التي تعطي لاستعمال التعبير معنى ، وبدلا من أن نسأل : ما معنى كلمة (س) ؟ علينا أن نسأل سؤالين : الأول : هو لأي غرض تستعمل الكلمة (س) ؟ والثاني : ما هي الشروط التي بها يكون استعمال الكلمة (س) صحيحا ؟ والنتيجة الدلالية الحاصلة لكلامنا أنه لا توجد أصناف أو طوائف من الوظائف اللغوية المحددة والثابتة ، بل يتوقف مغزى كل صنف من التراكيب على السياق وظروف الاستعمال[٢] ، وهذا هو بالذات ما تبحث عنه وتتداوله نظرية أفعال الكلام في مضمونها .أي إن الأمر لا يتعلق فقط باستعمال كلمة في الجملة ، بل باستعمال الجمل في المواقف المحسوسة ، أي : مواقف الفعل ، وتكتسب الأخبار معانيها وقوتها في الوحدات المتعالية على جملها (الوحدات الصغرى) ، والتي لا تفترق عن موقف الاستعمال ، لذا فوجهة المعبر عنها هنا هي وجهة تداولية بالمعنى الخاص للاصطلاح ، بحكم ارتباطها بالفعل ، وبإطار حركي غير شفوي وبنهايات تطبيقية[٣] ، وفي هذا السياق نستذكر مقولة (فتجنشتاين) : " إن الإنسان حالما يستوعب المعنى ، يستطيع القيام بفعل معين ، أو بسلوك معين "[٤] .

---

(١) تحقيقات فلسفية : ١٥٧ :

(٢) ينظر : فلسفة اللغة عند لودفيغ فتجنشتاين : ٣٠٧ .

(٣) الملفوظية : جان سيرفوني ، ترجمة : قاسم المقداد : ١٠٠ .

(٤) تحقيقات فلسفية : ٨٧ . وينظر : نظرية أفعال الكلام العامة : جون أوستين ، ترجمة : عبد القادر قنيني :١٢٣. وشظايا لسانية : مجيد الماشطة : ٩٥ .

وهكذا أدى ربط المعنى بالاستعمال عند (فتجنشتاين) إلى نوع من المرونة في استخدام اللغة ، هذه المرونة التي كان ينظر إليها تجاه اللغة ، هي حيثية من حيثيات التداولية الرئيسة في استخراج المعنى الكامن خلف المفردات والتراكيب من استعمالها في سياقاتها المختلفة ، كما أن نظرية أفعال الكلام هي الأخرى جعلت من اللغة إثر استعمالها وسيلة لتحقيق الأغراض وهدفا لتفسير المقولات بالنظر إلى علاقتها بالفعاليات المختلفة في الواقع ، من الإنجاز والتأثير في المتلقي وفي الخارج ، وبإحداث التغيير فيهما بالتلفظ التداولي المتحقق للغة من قبل الأفراد المخاطبين .

وقد كان من أهم أهداف (نظرية أفعال الكلام) في تصورها تجاه اللغة أن تحل محل النظرة الوضعية المنطقية للغة ، تلك النظرة التي كانت تفترض أن القضايا الوحيدة ذات المعنى هي القضايا التي تصف حالة من الأحداث الواقعة في العالم فحسب ، وأن كل ما عداها ليست قضايا حقيقية وإنما أشباه قضايا ، ويستخدم (أوستين) كما سيأتيِ مصطلح (إخباري) ليعبر عن الأول من القضايا ، في مقابل مصطلح (أداتي) للتعبير عن تلك القضايا التي تؤدي بالفعل ما تصغه الأفعال[١] .

وتنقسم الأفعال الكلامية لدى الناقد الفيلسوف (أوستين) كما تناوله في كتابه المذكور سابقا ، وقد كان حديثه عن هذه الأقسام إجابة على سؤال طرحه على نفسه قائلا : " بأي معنى يمكن أن يكون قول شيء إنجازا له تماما ؟ هنا يدخل تمييز الأنواع الثلاثة للأفعال : فثمة القول في حد ذاته Act Locutoire ، أي فعل إنتاج الأصوات وتركيب الكلمات في بناء يلتزم بقواعد اللغة ويحمل دلالة معينة ، والفول الفاعل Act Illocutoire ، أي الفعل الذي ننجزه أثناء القول ونؤكده بالقوة البلاغية ، والفعل التأثيري (غير المباشر) Act Perlocutoire ، أي الأثر غير المباشر الذي نحققه بالفعل "[٢] . وبعبارة أوضح إن الفعل الكلامي يقسم إلى[٣] :

. حدث القول : حدث قول شيء ما ، أي التفوه بجملة بمعنى ما بالإشارة إلى شخص ما أو شيء ما .

. حدث الإنجاز : الحدث المنجز بقول شيء أو الحدث الناجز نتيجة تفوه المتكلم بشيء ما كالرهان والوعد والتهديد والوعيد والترهيب والتحذير .

. حدث التأثير : يتحقق التأثير بقول شيء ما ، أي تأثير تفوه المتكلم في السامع الذي قد يصبح مرتاحا أو مقنعا .

---

(١) ينظر : نظرية أفعال الكلام العامة : ١٤٣ ، والملفوظية : ١٨٣ .

(٢) النص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي : فان ديك ، ترجمة : عبدالقادر قنيني : ٢٥٧ . ٢٦٢ .

(٣) ينظر : موسوعة الفلسفة : عبد الرحمن بدوي : ٢٥٦ . ٢٥٧ .

ولكي يوضح (أوستين) دلالة الفعل التأثيري نجده يستعين بمفهوم القيمة أو القوة ، بمعنى أننا حين ننجز قولا فإننا بذلك ننجز في الوقت نفسه وبالفعل ذاته قولا ثانيا ذا طبيعة أخرى ، من شأن هذا القول أن يقوم بالإخبار أو الاستفهام أو التحذير وغيرها ، إضافة إلى أن هذا الفعل التأثيري يعرف من خلال مفهوم الأثر أو التأثير في مشاعر المتلقين وأفكارهم وتصرفاتهم[١] .

ونقول أيضا : إن من شرط نجاح هذه النظرية ، أن هذه الأفعال يجب أن تنزل في موقف معين ، وأن تصيغ الشروط وأن تنص على أي العبارات التي تكون ناجحة في أي موقف من المواقف ، واللفظ التقني المستخدم في مثل هذا الموقف هو مصطلح (السياق Contexte) ، ولا ريب أن الخاصية الأولى للسياق التي مما يتعين التوكيد عليها هي الصفة أو الميزة الديناميكية المحركة ، فليس مجرد حالة لفظ ، وإنما هو على الأقل متولية من أحوال يتشكل خلاله اللفظ ، وعلى هذا فكل سياق هو عبارة عن اتجاه مجرى الأحداث[٢] .

وإذا كان فضل السبق والتأسيس يعود لـ(أوستين) في إرساء نظرية الفعل الكلامي ، فإن لـ(سيرل) دور تداولي لا ينكر أبدا في تطوير مفاهيم ضرورية للنظرية ، كالفعل الإنجازي ومفهوم القوة الإنجازية ، أما شروط الملائمة التي صاغها (أوستين) والتي من أهمها أن كل قول أدائي يكون محكوما عليه بالفشل ، إدا نطق به شخص لا يملك سلطة النطق به ، ومن ثم فكل بحث عن المعنى في الخطاب التداولي لا يأخذ بعين الاعتبار العلاقة الفعلية بين خصائص الخطاب وطبيعة من ينطق به ، وكذا الهيئة التي تخول له ذلك ، هو بحث مآله الفشل . فإن (سيرل) قد أعاد صياغة شروط هذه النظرية وحصرها في أربعة هي[٣] :

. شروط المحتوى القضوي Contenue Propsitonnelle ، حيث لا بد أن تكون للكلام معنى قضوي يقوم على مرجع ومتحدث به (خبر) ، والمحتوى القضوي للكلام هو المعنى الحرفي الأصلي للتركيب .

. الشرط التمهيدي Preparatoire ، ويتحقق بقدرة الفاعل المنجز على إنجاز الفعل لحظة الفعل ، شرط أن لا يكون واضحا تمام الوضوح لدى الطرفين ، أيكون منجزا أم لا .

. شرط الإخلاص Sincertire ، أي أن الفاعل لا بد أن يكون متيقنا من إخلاصه حالة التلفظ ، فلا يزعم القدرة على الإنجاز مع عدم الاستطاعة .

---

(١) ينظر : المقاربة التداولية : فرانسواز أرمينكو ، ترجمة : سعيد علوش : ٢٢ .

(٢) ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : محمود أحمد نحلة : ٤٩ . ٤٥ .

(٣) المصدر السابق : ٢٥٩ .

. الشرط الأساسي Essentielle ، ويعني هذا الشرط سعي المتكلم نحو إنجاز فعل التأثير في التسامح ، لينجز الفعل ويحقق غرضه .

ففلسفة هذه النظرية أعني : (أفعال الكلام)، أنها تربط موضوعها بمنطق العمل ، فعندما يتلفظ المتكلم بجملة ما في مقام تواصلي معين ، فإنه ينجز نمطا معينا من عمل اجتماعي ، ومن هذه الأعمال التي يسميها (أوستين) (عملا تحقيقيا) . فعندما أقول : "أعدك بأن آتي" ، فإنني أعد فعلا بالإتيان ، ويكفي أقول: أعدك بأن آتي ليكون الوعد قد تم.

والفعل من قبيل الوعد هو فعل (إنجازي) يحقق إنجاز الفعل الذي يصيغه ، فالقوة التحقيقية في اللفظ هي قصد الإنجاز الذي يظهره المتكلم بتلفظه هذا العمل التحقيقي أو ذاك[١] .

ففي ظل نظرية (أفعال الكلام) تحولت اللغة إلى عالم من الإنجاز ، فبدلا من أن تتطابق الكلمات مع الواقع أصبح الواقع مطابقا مع الواقع ، لتستحيل اللغة وتتميز بمقدار درجة إنجازيتها ومن حيث قوة ارتباطها بالجانب الفعلي الخارجي ، انطلاقا من التغيرات التي يحدثها أو يريد إحداثها في العالم ، ومن هنا تكون الخاصية الأولى للفعل اللغوي تتمثل في كونه يحقق فعلا معينا أي نشاطا يهدف إلى تغيير الواقع . فالأقوال التي ننتجها في حياتنا اليومية لها إذن جانبان كما هو مفهوم من فلسفة (فتجنشتاين) ومن بعده (أوستين) : جانب لغوي ، وجانب فعلي اجتماعي ، أوهي أقوال يتميز فيها القول بالفعل .

وبغض النظر عن ما ذكر عن هذه النظرية ، وبمعزل عن الجانب التقني في التداولية نفسها ، فإن ما يهم في الأمر هو أن التداولية فتحت رغبة الإنسان المعاصر اللغوية نحو آفاق أوسع وأشمل ما كان ليبلغها وتتجاوز معطياتها التقنية لو بقي حبيس القوالب الألسنية الصارمة ، فاللغة في النهاية كائن حي منفتح على هموم الإنسان ومختلف قضاياه ومتطلباته ، فما عليه إلا أن يحسن ترتيبها ومن ثم ربطها بالمنطوقات اللغوية فتصير أفعال الإنسان وتصبح اللغة أداة التواصل الأساسية ، كما أن مجهودات التداولية أفضت في نهاية المطاف كحاضنة جديدة لدراسة أوجه العلاقة بين المتكلم واللغة ، بحيث لا تقتصر موضوعاتها في إطار دراسة الجمل صوتيا وتركيبيا ، بل تتعدى كذلك إلى المعنى التواصلي المتضمن فيها ، وهو ما نجده بصورة خاصة عند (يورجن هابرماس) فيما يعرف بـ (التداولية الشاملة[٢]).

(١) ينظر : مدخل لفهم اللسانيات : روبير مارتان ، ترجمة : عبد القادر المهيري : ١٣٩ .

(٢) ينظر : فلسفة التواصل : جان مارك فيري ، ترجمة : عمر مهيبل : ١٣ . ١٤.

الخاتمة

ـ في ضوء نظريـــة (ألعاب اللغة) التي تعد إحدى الجذور التأسيسية المهمة للتداولية ، أصبحت تحليـل الألفاظ في فلسفة (فتجنشتاين) اللغوية ولا سيما في كتابه (تحقيقات فلسفية) ليس البحث عما تدل أو تشير إليه الكلمة فتكتسب معناها ، بل المغزى الأساس من هذه النظرية الكشف عن الطريقة التي يستخدم بها الكلمة في اللغة بالفعل ضمن سياقها التداولي ، كما لم يعد البحث في اللغة وتحليلها عبارة عن تحليل للقضايا إلى قضايا أولية تتكون من أسماء كل اسم منها يشير إلى شيء بسيط أو واقعة بسيطة في العالم الخارجي ، فقد أصبح البحث الأساسي للفلسفة المتمثل باللغة هنا التحليل الذي يكشف عن الاستخدام الصحيح للألفاظ عبر ألعاب اللغة أو التشكيلات اللغوية المختلفة .

ـ توصل البحث إلى أن المقصود بفكرة الاستعمال للمعنى عند (فتجنشتاين) ، هو الاستعمال الحياتي للكلمة المفهوم تداوليا واجتماعيا ، فليست اللغة عنده مفهوما ميتافيزيقيا مجردا منفصلا عمن يستخدمونها ، بل هي في النهاية ظاهرة اجتماعية تفاعلية ونشاط بشري راسخة في حياتنا ، ومن هنا يمكننا أن نتبين أن المعنى ليس متأصلا في الكلمة ، كما أنه لا يتأتى من خلال السياق النحوي والتركيبي فقط ، ولا هو نتيجة عملية ذهنية داخلية فحسب ، بل إن الكلمة تكتسب المعنى من خلال امتلاك موضع ما في مناسبة استعمالية ما .

ـ وفي سياق النظرية التواصلية تتضح عند (فتجنشتاين) صحة استخدام الألفاظ ، حيث إن الأمر يتطلب أن تتوجه الرسالة أي المحتوى بالطريقة العادية للمتلقين كي يكون واضحا كل الوضوح ، وذلك يكون وفق (فتجنشتاين) بإعادة ألفاظ اللغة من استخدامها الميتافيزيقي إلى الطريقة التي تستخدم بها في الحياة اليومية . ثم إن فكرة الوضوح للغة التي تطرق إليها (فتجنشتاين) في نصوصه نجد فيها تطابقا بين ما نفكر فيه (الفكر) وبين ما نقوله (اللغة) وبين مدلولات ما نقوله (الواقع) .

ـ كما استنتج البحث إلى أن (فتجنشتاين) تعامل مع اللغة في دارته الفلسفية (التواصلية) بما يقرب من (الوظيفة المهيمنة) التي طرحها (ياكبسون) في نظريته اللسانية التواصلية ، حيث يمثل درء الغموض في الرسالة اللغوية هو الوظيفة المركزية والمهيمنة لأية عملية تواصل لغوي من النوع الفلسفي .

ـ إن نظرية (أفعال الكلام) التي طرحها (أوستين) تمثل دعما لنظرية (فتجنشتاين) في اللغة ، ولا سيما في رفعه شعار (لا تسأل عن المعنى بل اسأل عن الاستعمال) ، فهو قائم أساسا على فكرة أن المتكلم يستخدم الجملة للقيام بفعل حسب مغزى أو مقصد كلامي يحدده غرض المتكلم والعرف كأن يستعملها للأمر أو الوعد أو التهديد أو التنبيه وغيرها.

ـ كما ذهب البحث إلى أن الخاصية الأولى للفعل اللغوي تتمثل في كونه يحقق فعلا معينا أي نشاطا يهدف إلى تغيير الواقع . فالأقوال التي ننتجها في حياتنا اليومية يكون لها جانبان كما هو مفهوم من فلسفة (فتجنشتاين) ومن بعده (أوستين) : جانب لغوي ، وجانب فعلي اجتماعي ، أوهي أقوال يتميز فيها القول بالفعل

فهرس المصادر والمراجع

١. الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي : أ.د. نادية رمضان النجار ، ط١ ، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٣م .

٢. أضواء على الدراسات اللغوية المغاصرة : د. نايف خرما ، ط١ ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٧٨م .

٣. . آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : د. محمود أحمد نحلة ، ط١ ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٢م .

٤. الأنثربولوجيا البنيوية : كلود ليفي ـ ستروس ، ترجمة : د. مصطفى صالح ، ط١ ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٧م .

٥. تحقيقات فلسفية : لودفيغ فتجنشتاين ، ترجمة وتقديم وتحقيق : د.عبد الرزاق بنور ، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ٢٠٠٧م .

٦. التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد : صلاح اسماعيل عبدالحق ، ط١ ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ،١٩٩٣م .

٧. التواصل اللساني والشعرية ، مقلربة تحليلية لنظرية ياكبسون : الطاهر بومزبر ، ط١، ، الدار العربية للعلوم ، بيروت، ٢٠٠٧م .

٨. الحجاج في البلاغة المعاصرة : د. محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، ط١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ٢٠٠٨م .

٩. حجة اللغة الخاصة ، دراسة في فلسفة فتجنشتين : أيمن حمودة حسن حاج ياسين ، ط١ ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٩٦م .

١٠. الدلالات المفتوحة ، مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة : أحمد يوسف ، ط١، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٥م .

١١. رسالة منطقية فلسفية : لدفيج فتجنشتين ، ترجمة : عزمي إسلام ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

١٢. سيكولوجية اللغة والمرض العقلي : د. جمعة سيد يوسف ، ، ط١ ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٠م .
١٣. السيميائيات الواصفة ، المنطق السميائي وجبر العلامات : أحمد يوسف ، ط١، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٥م .
١٤. شظايا لسانية : د. مجيد الماشطة ، ط١ ، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع ، لندن ، ٢٠٠٨م .
١٥. العلامتية وعلم النص : د. منذر عياشي ، ط١ ، مركز الإنماء العربي ، حلب ، دار المحبة ، دمشق ، ٢٠٠٩م .
١٦. فلسفة التواصل : جان مارك فيري ، ترجمة : عمر مهيبل ، ط١، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٥م .
١٧. فلسفة اللغة عند لودفيج فتجنشتاين : جمال حمود ، ط١ ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ،٢٠٠٩م .
١٨. الفلسفة وقضايا اللغة ، قراءة في التصور التحليلي : بشير خليفي ، ط١، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠١٠م .
١٩. في اللسانيات العامة : د. مصطفى غلفان ، ط١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ٢٠١٠م .
٢٠. اللسانيات ، اتجاهاتها وقضاياها الراهنة : د. نعمان بو قرة ، ط١ ، عالم الكتاب الحديث ، عمان ، ٢٠٠٩م .
٢١. اللغة والمعنى ، مقاربات في فلسفة اللغة : إعداد وتقديم : مخلوف سيد أحمد ، ط١، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠١٠م .
٢٢. لودفيج فتجنشتين : د. عزمي إسلام ، دار المعارف بمصر ، د . ت ..
٢٣. المتشابهات الفلسفية لفلسفة الفعل عند فتجنشتاين : د . محمد مهدي الجزيري ، دار آتون للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٦م.
٢٤. مدخل لفهم اللسانيات : روبير مارتان ، ترجمة : د. عبد القادر المهيري ، ط١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٧م .
٢٥. المقاربة التداولية : فرانسواز أرمينكو ، ترجمة : د. سعيد علوش ، ط١، مركز الإنماء العربي ، الرباط ، ١٩٨٦م .
٢٦. مقدمة في الفلسفة المعاصرة ، دراسة تحليلية ونقدية للاتجاهات العلمية في فلسفة القرن العشرين : د. ياسين خليل ، ط١ ، منشورات الجامعة الليبية . كلية الآداب ، مطبعة دار الكتب . بيروت ، ١٩٧٠م .

٢٧. الملفوظية : جان سيرفوني ، ترجمة : د. قاسم المقداد ، منشورت اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٨م .
٢٨. موسوعة الفلسفة : عبد الرحمن بدوي ، ط١ ، منشورات ذوي القربى ، طهران ، ٢٠٠٥م.
٢٩. النص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي : فان ديك ، ط١ ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق ، بيروت ، ٢٠٠٠م .
٣٠. نظرية أفعال الكلام العامة : جون أوستين ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق ، بيروت ، ١٩٩١م .
٣١. نظرية العلامات عند جماعة فينا ، رودولف كارناب نموذجا ، دراسة وتحليل : د. محمد عبدالرحمن جابري ، ط١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ٢٠١٠م .
٣٢. نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي : هشام عبد الله الخليفة ، ط١ ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ٢٠٠٧م.